"وتحقق الامل" تجربة الكتابة الجماعية لصياغة عمل روائي ثلاثي بقلم واحد

صدر حديثا ضمن سلسلة علوم الايزوتيريك رواية "وتحقق الامل" من تاليف ثلاث نساء عملن معا في انجاز الرواية وهن المهندسة هيفاء العرب، الاستاذة لبنى نويهض، والمهندسة ندى شحادة معوض. الكتاب يضم ٣٠٤ صفحات من الحجم الوسط، منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت.

اللافت في هذه الرواية بعيدا عن مضمونها وتفاصيل القصة التي وردت فيها، ان تاريخ الرواية العربية لم يشهد ثلاث نساء انتظمن معا في السرد والراوي والتأليف، مما يترك المجال مفتوحا امام سبيل من الاشكاليات التي تدفع بالباحث الى التأمل في مسيرة الرواية العربية منذ ظهورها الى يومنا الراهن. لماذا كتبت الرواية بشكل ثلاثي؟ ما هي العبرة التي تتحقق من عمل مشترك في سرد احداث قصة واحدة؟ اكثر من ذلك هل نستطيع ان نقيم الرواية من خلال شخصية الكاتب؟ كيف نتعامل مع ثلاثة ساهمن في الكتابة والاسلوب والسرد وكل ما يلزم لبناء رواية؟

علما ان الرواية العربية ما زالت في دائرة من تعدد للنظريات والهوية بين الشرق والغرب.

البعض من النقاد على سبيل المثال "لوسيان غولد مان" يرى في انماط الرواية انها مقاربة جناسية سيكولوجية، بمعنى شخصية المؤلف وواقعه النفسي تسطع من خلال احداث الرواية. قد تتعدد تعريفات العمل الروائي، لكن لا يتعدد عدد المؤلفين للرواية الواحدة، حتى يتسنى للقارىء ان يحكم على ذائقة النص وبراعة المؤلف، وليتسنى للناقد ان ينفذ الى المقاربة السوسيولوجية التي تتناول العمل من النواحي الاجتماعية.

لكن رواية "وتحقق الامل" مع كل التشويق الذي يعيد الرومانسية الى الحداثة في قالب فني جميل من المتعة والتشويق بدت مرتبطة بالعصر اكثر منها ارتدادا الى الماضي. لكن من خصائص الادب الروائي "الشخصية القصصية" حيث تعتبر د. مريم حمزة "بعض الروائيين يوازنون بطريقة بارعة، بين تحديد مواصفات شخصيات اعمالهم الروائية، وطبيعة ما يجري حولها، فان فهم تلك الشخصيات لا يمكن ان يتم بمعزل عن ادراكنا لما يحيط بنا من التفاعل بين ذواتنا والعالم".

هذا يقودنا الى ابراز اشكالية فعلية في رواية "وتحقق الامل" للبعد الرمزي الذي تمثله "لينا" بطلة الرواية في عيون الكاتبات، فهل استطاعت الكاتبات ان تتوحدن بالرؤية في قراءة دقيقة لشخصية "لينا" البطلة الحقيقية من لحم ودم وواقعية الحادثة كما ورد في مقدمة الرواية؟

هذا يقود الى دور علوم الايزوتيرك التي لا ترى في ذلك تناقضا لأن الهدف المشترك هو المعيار، حيث الهدف هو انقاذ المرأة في هذه الرواية.

علما ان ابطال الرواية أربعة، متناقضوا الشخصية. يعني ذلك ان الخصائص الروائية تسلط الضوء على الهدف الذي يراد تقديمه من العمل الروائي. فتصبح الشخصية الرئيسية المحرك، لكن مع "الوجوديين" تحوّل الاهتمام الى الموقف والعمل بغض النظر عن الشخصية. أنستطيع ان نفهم علوم الايزوتيريك من خلال المدرسة الوجودية في الادب الروائي، لنصل الى خلاصة تفيد ان في علوم الايزوتيريك ليس المهم الروائي بقدر ما هو أهم معرفة الموقف والدور الذي تلعبه الرواية؟.

قد لا تتضح هذه المسألة إلا اذا اعتبرنا ان الحب هو الامل في رواية "وتحقق الامل" واعتبرنا ان الرواية تشكل فتحا جديدا في الرواية العربية الحديثة لتتحول الى تجربة جديدة هدّامة لكل التقليد السائد في النهج الروائي او ما يشكل علامة فارقة في تعدد النظريات والمدارس الروائية.

د. مريم حمزة في مؤلفها "الادب بين الشرق والغرب" تعتبر انه من وظيفة الأدب الروائي "ألاّ يقوم بوظائفة بشكل مباشر، كأن يدلي بعظة اخلاقية، او بيان سياسي، او درس اجتماعي، او غير ذلك مما يشكل اساءة لفنية العمل القصصي".

رواية "وتحقق الامل" باسلوب سلس وجمالية فنية ولغة رشيقة، حاولت ان تتسلل الى داخل القارىء لتأخذه الى عالم المرأة في ضياعها وفي تحولاتها التي جعلت الرواية في دائرة المباشرة. رغم الصراع الدائر بين الظلمة والنور، بين حضيض امراة الى سموٍّ الحبِّ وعظمة الاحساس.

وعت البطلة في الرواية "ان الحياة سلسلة هائلة من جمال يتعلق بحب، وحب يتعلق بعظمة، وعظمة تتعلق بخلق، وخلق يتعلق بخلود، وخلود يتعلق من جديد بحب".

ربما الايزوتيريك محاولة للجمع بين الاصالة والتبعية. محاولة لخلق فن ادبي جديد يستمد مادته من الواقع المعاش، من التجربة من "المحاكاة" لتؤدي رسالة لا تتحمل التأويل.

"وتحقق الامل" تجربة الكتابة الجماعية، تجربة لصياغة فنية لعمل روائي تكتبه ثلاثة بقلم واحد ورؤية مشتركة مع هدف لا يتجزأ.

انها اشكالية ام بداية لمرحلة جديدة من مسيرة الادب الروائي.

خلاصة الاشكاليات تتمحور حول الاسئلة التالية:

هل رواية "وتحقق الامل" أسلوب جديد في الرواية العربية الحديثة؟

هل علوم الايزوتيريك تخدم أهداف الرواية؟

هل الاتفاق على اسلوب ادبي محدد، يساعد على تكوين شراكة لغوية، واداة تعبيرية مشتركة.

من بطل الرواية، اين شخصية الكاتب المتخفية، هل هن ثلاثة، ام بطلة القصة "لينا" هي الكاتب، والاحداث، والهدف؟ انها رواية "انها طريقة انسانية تستفز المشاعر، وتتفاعل معها الى حد الفرح العميق، والى حد العذاب الذي يطال الوجع، والبكاء احياناً.

رواية تعيد الرومانسية الى المخيلة، الى البحث عن مسار مختلف في التعبير والصورة انسجاما مع متغيرات الواقع والزمان وتبدل الامكنة.

"وتحقق الامل" البطلة تروي قصة حياة لم تكن سوى بذخ في الثراء، وبحث عن لذة لماعة افقدتها قيمة المرأة في داخلها. لكن إرادتها للحياة جعلت يد الحب تنتشلها من بؤرة ضياعها فوعت انه "لا معنى للحياة ان بدأت بمجد وانتهت بمجد ولم ترطب بدمعة حب واحدة".

الرواية قد تكون صرخة وجدانية في تراتبية مشهدية من البدايات، من الحلم الذي تحول الى ضياع، ثم عاد الى جادة الصواب، الى جادة البحث عن الحب. من يفتقر الى الحب يفقد الوجه الانساني فيه"